

الشطحة الابداعى ضرورة حياتية

الإقدام
ولا شيء
إلا الإقدام

oboi.kandi.com

أنا، من الناحية الرسمية، أحمل لقب شطاحة مبدعة منذ عام 1988، باعتبار أنني مشاركة في البداية بالعمل في وكالات دعائية مختلفة، ومنذ 1996 باعتباري مالكة شركتي الخاصة بي "الحرية الكبيرة"¹ قائمة بالتعاون مع مؤسسات مختلفة في تطوير أفكار جديدة وتصورات ابتكارية تواصلية. ومن الناحية غير الرسمية كنت دائماً أحب ابتكار أشياء، وقصص وحكايات عجيبة وأحاول أن أشكل بيدي من صور أفكار شيتاً.

وكان من عظيم حظي أنني نشأت في بيت يستحسن هذه الأشياء بالذات في عمومها ويشجع عليها. وبعد أن حصلت على شهادة الثانوية العامة الألمانية - الأبيتر - خرجت من عشي الدافئ على عجل رغم ذلك وذهبت إلى فرنسا لأعمل جليسة أطفال (فتاة أوبير)²، وعملت مدرسة تزلق على الجليد في سويسرا ومرشدة سياحية في كورسيكا. ثم درست مهنة التدريس للغات اللاتينية والفرنسية، ويرجع ذلك إلى عشقي الكبير للغة اللاتينية، ذلك العشق الذي كان أحد الأسباب القليلة التي جعلتني أحياناً أحب المدرسة. إلا أن الدراسة الجامعية كشفت لي حدودي. فقد أحسست على الرغم من عشقي أنني لست في مكاني سواء عند أساتذة فقه اللغات القديمة أم عند أساتذة اللغات الرومانية، ولم أستطع إلا قليلاً، بل أقل من القليل أن أبحث نفسي على مطالعة الكتب، ولم أجد لي مدخلاً حقيقياً إلى العلوم الإنسانية³. والخلاصة: أن هذه الدروس الجامعية لم تكن تناسبني وانقطعت بعد الفصل الدراسي الرابع. ونزلت مجال الدعاية، وأتممت برنامجاً تدريبياً، ودرست في الوقت نفسه التسويق، واشتغلت بعد ذلك في وضع تصورات ووضع خطط استراتيجية في وكالات مختلفة، وحققت في عام 1995 استقلالي من خلال تأسيس وكالة "أنكه بيلتسر". وكالة لأفكار الأفلام⁴؛ وأسست في عام 1996 شركة خاصة هي "الحرية الكبيرة شركة ذات مسؤولية محدودة لإدارة الابتكار وتسويق أفكار جديدة"⁵.

ويتضح لي في أثناء عملي يوماً مراراً وتكراراً أننا لم نكُن لنا جميعاً في طفولتنا وصبا إيمانية أن نجرب أشياء ونحن نسند ظهورنا إلى سند نفسي مطمئن، وأن ننمي شخصياتنا في اتجاهات مختلفة، وأن نسمح لأنفسنا بالحرية في التفكير. ثم تطرأ في المراحل التالية من نمونا ونحن في طريقنا لنصبح كباراً أمور تؤثر تأثيراً حاسماً في ثراء أفكارنا وفي خيالنا. لماذا يصعب على كثير منا ابتداء شيء جديد؟ أي ابتداء نتاج عقلي يحفز الناس من حولنا على أن يشاركونا التفكير والعمل؟ اختراع منتج عقلي يؤدي إلى عمل أشياء بطريقة مختلفة عما يعمله الآخرون، ونصبح نتيجة له بالفعل أشخاصاً أفضل وأنجح، فنبذل هيئة براءات الاختراع باختراعنا ونحقق فائدة تنافسية حاسمة حيال المنافسين؟

ربما لم يكن ما يلي معروفاً لك: أنت لديك فكرة وتحكي لزميلك أو زميلتك متحمساً عنها، ولكنك لا تتال شيئاً من الاستحسان الفائق فلا يأتي من يربت على كتفك ولا يفرقع أحد فليلينة زجاجة الشامانيا. وبدلاً من هذا وذاك تشق عبارة "أنت تشطح، أنت تخزف" طريقها إلى أذنك. وعبارة "أنت تشطح، أنت تخزف" تقوم في هذا الموقف غالباً مقام أنك قلت شيئاً لم يسمع به الشخص الواقف أمامك من قبل على هذا النحو الذي قلته. ومن المحتمل أنك كنت آنئذ تسلك أفضل طريق في التفكير في شيء جديد وفي عمل شيء جديد. ولا ينبغي لك الآن أن ترخي كتفيك محبطاً وأن تترك الأمر خائب الرجاء.

وسيؤكد لك أغلب خبراء الاقتصاد أن الابتكارات هي محرك الاقتصاد، وبخاصة في الأوقات الصعبة وفي الأسواق التي يستهدفها صراع ساخن. والنتيجة المنطقية أن أي مؤسسات بدون مثل هؤلاء الناس الذين يبتكرون الجديد فكراً وعملاً لن تكون في المستقبل قادرة على المنافسة. الشطح الإبداعي ضرورة حياتية لكي نكون ناجحين في القرن الواحد والعشرين.

وعلى هذا الكتاب أن يشجعك، لتخلق الجديد، لتفكر في الجديد، ولتتكلم عنه ولتعمله. إنني أود أن أحيرك بالمعنى الإيجابي، وأن ألهمك في الوقت نفسه، بأن أحاول أن أحدث خروجاً صغيراً في بنيات حظيت بحبك، لكي أتيح لأفكار غير معهودة الدخول من خلالها. سأظل أهر ما هو معهود وما هو مألوف وسأقدم لك في المقابل ما هو تعارضي وما هو مبهج، لكي أريك منظورات جديدة، ولكي أوقف مقدرتك على الابتكار وأخرجها إلى النور. أود أن أنبه منطقة المعدة لديك، وأن أوجهك إلى العقدة التي من الممكن أن تكون قد تكونت فيها في أثناء القراءة علامة على المقاومة. في هذه المواضع بالضبط تكمن فرص عظيمة يمكنك مستقبلاً أن تفيد منها. ويمثل نشوء نوع من المقاومة في البطن رد فعل سوي تماماً، إذا نحن تشجعنا واعتبرنا نظريات العبقرية لجهاذة الابتكار من مثل "دانييل جوليمن"⁶ و"هوارد جاردنر"⁷ أو "ميهايلي سيكسينتميهالي"⁸ كتلوج سقطت بالأمس كما يقولون ولم يعد أحد يهتم بها. ولكن الميزة الخاصة التي يتميز بها الجديد هي في رأيي التخلي الواعي عن خبرات معروفة، وإلا ما كان الجديد جديداً.

كتابي هذا "الشطح الإبداعي ضرورة حياتية" كتبته أيضاً بصفة خاصة جداً للمؤسسات التي تضيق أحياناً بالشطاحين المبدعين في صفوفها. يرجو هذا الكتاب أن يبين كيف أن هؤلاء المفكرين التعارضيين المختلفين في طرائق فكرهم المليئة بالشطح لهم هم بالذات أهمية هائلة، ويرجو أن يبين مدى أهميتهم بالنسبة إلى النجاح الكلي للمؤسسة، وكيف أن هناك مؤسسات تحرك بعونهم عملية الابتكار وتستطيع هكذا أن تؤثر تأثيراً أنجح في السوق.

نبغي أن تحل عبارة "شطح ألماني" محل عبارة Made in Germany (صُنع في ألمانيا) التي تحررت في هذه الأثناء من أن تكون قيمة في حد ذاتها،

سيكون الشطح الإبداعي عما قريب مادة تعليمية مبتكرة في جامعاتنا وسيعمل الشطح الإبداعي على بث حركة وسيكون مستقبلاً بمثابة جدول الضرب بالنسبة للإدارة. كثير من مؤسساتنا لديها الآن معين هائل كامن للابتكار والشطح، وأغلب الظن أن السؤال هل تستغلها أم لا تستغلها لن يكون مطروحاً مستقبلاً، وإنما سينحصر في متى وكيف. المطلوب هو الإقدام ولا شيء إلا الإقدام!

"كلُّه نعيده من البداية!" هذه هي الصيحة التي يعود إلى إطلاقها المخرج أو مدير الإنتاج في كل مرة يكون فيها من الضروري في أثناء الإنتاج إعادة تصوير مشهد ويكون على الجميع أن يذهبوا إلى مواقعهم الأولى لكي يبدأوا من البداية. "آه يا روميو. حبي لك بلا حدود، إنني أذوى في شوقي إليك. قبّلني وإلا ألقيت نفسي من الشرفة." ستوب. مدهش يا جوليت، أحسن. شوية عاطفة كمان، وإلا نملت أقدام الناس. وعلى روميو الآن أن يرينا ما هو الحب الحقيقي. تمام، "كله نعيده من البداية". "يا روميو. حبي لك بلا حد..." ستوب. لا يا جوليت، لا يزال المطلوب أكثر من ذلك! "كله نعيده من البداية". هيا. هونب. "روميو..." هنا نقطع هذا المشهد المثير. "كله نعيده من البداية".

أخيراً، انتهيت من الإفطار، ونشفت شعري بالسيشوار لتوّي، والتقطت حقيبة يدي، إلا أنني لم أجد المفتاح الملعون، أين هو؟ كل يوم نفس التمثيلية. أنا وضعته على المنضدة، بلا شك. أم هل نزلت ياترى بالأمس إلى القبو مرة ثانية؟ كما أنه ليس في الحقيقة كذلك. "كله نعيده من البداية". أعيد الشنطة إلى حيث كانت، وأذهب إلى الباب وأجرب، أستعيد في مخي دخولي شقتي بالأمس، كما يستعيد المتزلق على الجليد في مخه حركة "السلالوم"⁹ وهي التزلق من المنطلق من خلال علامات محددة خطوة خطوة نحو الهدف. وصعدت الدرج بأقصى سرعة، وببيدي المفتاح الخيالي، وفي داخل الشقة يدق التليفون. بسرعة، بسرعة، ربما تكون مكالمة تليفونية مهمة، وأدس المفتاح في الكالون، فينفتح الباب، وأندفع داخل الشقة، وأصك الباب، وأعدو إلى المنضدة الصغيرة في المدخل، وأركن الشنطة، وأرفع السماعة: "هاللو باربارا" — لماذا لا تتصل بي هذه الست على الهاتف المحمول؟! — "لا، لا ... الحكاية أنني وصلت البيت الآن لتوّي ... مساء الغد؟ انتظري لحظة ..." وشدت الشنطة نحوي كأنني أشدها بسنارة السمك، وأخرجت منها أجندة مواعيدي. "الساعة السابعة عظيم. ليلتك سعيدة، إلى

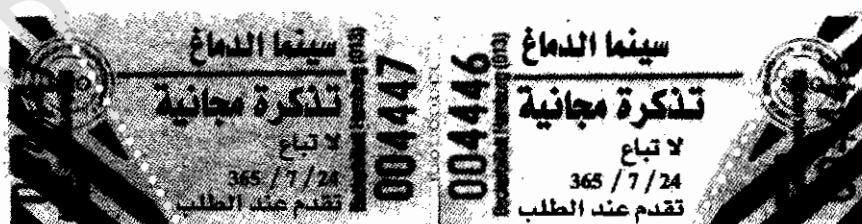
اللقاء." نخلع المعطف، نروح التواليت، وفي الطريق إليه نخلع الحذاء شحطاً.
أنا جوعانة، ماذا أطبخ الآن يا ترى؟ لحظة. ناقص شيء. "كله نعيده من البداية".
في النقطة بين فتح الباب والاندفاع داخل الشقة وصك الباب هناك في فيلمي نتفة معقدة
صغيرة. أين حركة إخراج المفتاح؟ وهأناذي أفتح الباب، وإذا المفتاح مدسوس فيه،
وحيداً مسكيناً في الكالون من الخارج. وواقع الأمر أن العين لا تخطئه، لأنني ربطت
فيه دويارة صفراء وضاحية، لكي أجده بسرعة، في كل مكان، في الحال.



ومن المؤكد أنني
نجوت من جريمة قتل
وسطو ما كان بيني وبينها
إلا خيط رفيع - وإني لأرى
كيف يتسلل شخص حالك
صاعداً من خلال بير السلم.
في المخروط الضوئي
المنبعث من بطارية جيبه
تضيء الدويارة الصفراء
الوضاحية مغرية كدليل إلى
الطريق، دعوة موجهة إلى
لصٍ أشير يبحث عن لآلئ
وجواهر. وهو قد أتى يقيناً
من فوق السطح، كما فعل
"كاري جرانت"¹⁰ في
زمانه، أم هل كانت هي
"جراتسيا باتريستيا"¹¹ قبل

أن تتزوج الأمير "رينيه" أمير موناكو؟ وأنا أنعس قريرة العين وأحلم ببلاجات بيضاء
بينما "جريس كيللي" وهي تبحث عن تاجي تعثر على الخزنة الحديدية في المكتبة
وتضع لي باعتباري أميرة "ماريبو"¹² عبوة ناسفة وتفجر الحجرة كلها. ويتسبب الانفجار
في سلسلة من ردود أفعال لا يصدقها العقل، فتتحرك صفوف كاملة من البيوت فجأة
و... ولكن هذه قصة أخرى. "كله نعيده من البداية".

ربما قلت في نفسك وأنت تقرأ السطور الماضية "إنها تشطح"، ولعلك قلت "إنها لتملك خيلاً مزدهراً" هذا صحيح، إنني أملك خيلاً مزدهراً، شكراً جزيلاً على المجاملة والمديح، وشكراً جزيلاً لك على مسابرتك لي وأنا أسترسل في قصتي. هل لفت انتباهك كيف يستطيع دماغك أن ينتج صوراً وأنت على مدى 45 ثانية . فقد استغرقت قراءة هذه الفقرة تقريباً 45 ثانية . استطعت أن تنتقل سريعاً من موقع السطو على الجواهر إلى الحجرات الأميرية في موناكو؟ كل هذا بسبب المفتاح الصغير لباب البيت الخارجي. هل لاحظت أنك استطعت دون جهد كبير أن تشغل هذا الفيلم الخيالي القصير في سينما دماغك الخصوصية؟ هل كنت تعلم أن سينما دماغك الخصوصية مفتوحة 24 ساعة في اليوم، سبعة أيام في الأسبوع، و52 أسبوعاً في العام وأنت تمتلك كمّاً غير محدود من تذاكر الدخول المجانية؟



وهل تعرف أيضاً ما يمكنك أن تعمله فيها؟ كل شيء! يمكنك أن تصبح مستشاراً اتحادياً، أو أن تصنع تورطة الفراولة، أو أن تكون مدير مؤسسة، أن تكتشف ما تواريه خادمك من أسرار حرفتها في حسن توزيع الأشياء بالمنزل، وأن تقنع زميلتك بأفكار جديدة، وأن تصلح سيارة، وأن تصفر لحن "لا بالوما"¹³ بالقلوب، وغير ذلك مما يمكن أن يخطر ببالك.



ربما يكون قد صعب عليك أيضاً أن تتابع قصتي الصغيرة. قد لا تكون أية صور قد نشأت في دماغك إطلاقاً، ولكنك استطعت أن تسمع مؤثرات صوتية أو أن تشم عطر "جراتسيا باتريسيا" أو رائحة الديناميت. ومن المحتمل أن تكون هذه الملحوظات غير المترابطة في ظاهرها قد أدت بك إلى أن تتحي هذا الكتاب على التو جانباً ورحت بالفعل تستعرض في ذهنك قائمة ضيوف عيد الميلاد وإلى من تُراهم سيُهدون هذا الجزء الغالي ويخلصون من أمرها.



وأسمح لنفسني هنا أن أرجوك أن ترفع ذراعك وأن تضع عضدك على رأسك وأن تمد إصبع السبابة إلى أن تصل إلى أذنك. لا بد من أن هناك كليبساً صغيراً كالكذي تعرفه في علبة السيجار هل تحس به؟ اثن الكليبس بكل بساطة إلى أعلى وافتح من فضلك الجزء العلوي من دماغك إلى جانب. ثم مد يدك إلى الداخل، استخرج مخك واركنه مؤقتاً في علبة أو إناء تختاره. قد تصلح لذلك على سبيل المثل علبة كرتون مهملة أو طبق سلطة غويط، فإذا لم تجد شيئاً أصغر من ذلك، فربما اخترت الحوض أو البانيو أو أيضاً جردل المسح، جردل كالموجود في كثير من البيوت تحت حوض المطبخ. ثم

اقفل من فضلك الغطاء، سك الكليبس الصغير، وها أنت ذا تملك رأساً جديداً كليةً بقرص حاسوب صلب (هارد ديسك) وقد مسح من عليه كل شيء، منفتح للجديد ومستعد لتقبل كل شيء يمكن أن يأتي.

من المفيد أن يتحرر الإنسان من حين لآخر من إرباكات مخه وأثقال أفكاره، وأن ينصرف عامداً وأعياً عن إمكانيات المقارنة بخبرات معروفة وأن يمنح نفسه وجهة

نظر جديدة. وهذا

شيء يحول أحياناً

بيننا وبين أن تكون

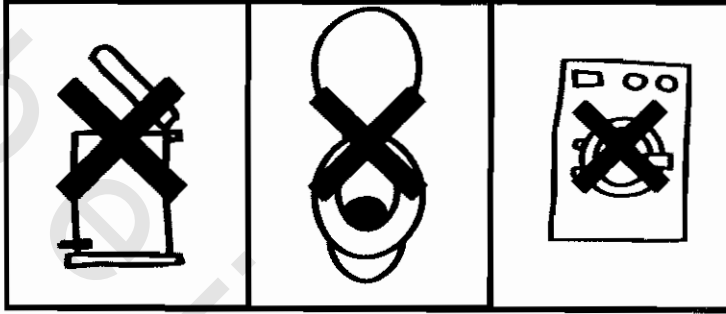
لدينا على الفور

حلول ووصفات

جاهزة في الدماغ

وفي متناول اليد،

ويجعلنا أكثر تنبهاً



إلى ما يجري حولنا. بدماغ متحرر تتخذ فجأة معنى أشياء تلوح في ظاهرها كأنها بلا معنى، وتفتح أبعاداً غير متوقعة في الفكر والإحساس والسلوك. لقد أصبحت الآن مهيباً على خيروجه، ويمكنك أن تتدفع مقدماً إلى مغامرة الإبداع.

- 1 Große Freiheit
- 2 (Aupairmädchen) أو au pair girl (باللغة الإنجليزية): هي فتاة تعيش مع أسرة مضيضة في بلدها أو في الخارج وترعى كل شئون طفل الأسرة المضيضة مقابل الإقامة والحصول على مبلغ من المال شهرياً وذلك بهدف اكتساب لغة بلد الأسرة المضيضة أو التعرف على ثقافتها. وكلمة au pair هي كلمة فرنسية تعني خدمة مقابلية.
- 3 هناك في منظومة العلوم الألمانية تقسيم متوارث للعلوم إلى مجموعتين: مجموعة العلوم الطبيعية Naturwissenschaften وفيها الفيزياء والكيمياء والأحياء والفلك والجيولوجيا والطب الخ ومجموعة العلوم التي يسمونها العلوم الإنسانية Geisteswissenschaften وتضم فقه اللغات والتاريخ والاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع الخ - علاوة على مجموعة العلوم المثالية Idealwissenschaften وفيها الرياضيات والمنطق. ومن البديهي أن الحديث عن المدلولات والمناهج والتداخلات، بل ومعنى كلمة Geist وكلمة Natur الخ حديث طويل يخرج عن إطارنا في هذا الكتاب.
- 4 "Anke Pelzer, Agentur für filmreife Ideen"
- 5 "die große freiheit GmbH für Innovationsmanagement und die Vermarktung neuer Ideen"
- 6 "Daniel Goleman" شارك في تأليف كتاب عن اكتشاف الإبداع ظهرت طبعته الألمانية في عام 1997.
- 7 "Howard Gardner" مؤلف كتاب عن عبقرية أينشتاين ظهرت طبعته الألمانية في عام 1996.
- 8 "Mihaly Csikszentmihalyi" مؤلف كتاب عن الابتكار ظهرت طبعته الألمانية في عام 1997.
- 9 Slalom هي حركة في كثير من الرياضات المقصود بها المرور السريع والمتكرر بالمنحنيات.
- 10 هو "Archibald Alec Leach" المعروف باسم "Cary Grant" وهو ممثل بريطاني معروف بشكل كبير بأفلامه التي قدمها للسنيما الأمريكية.
- 11 هي "Grace Patricia Kelly" المعروفة فيما بعد باسم الأميرة "Gracia Patricia"، وهي ممثلة أمريكية حصلت على جائزة الأوسكار للأفلام الأمريكية، وفي عام 1956 تزوجت الأمير رنييه الثالث "Rainier III"، أمير موناكو.
- 12 Maribo مدينة تقع في جزيرة لولاند رابع أكبر الجزر الدنماركية.
- 13 La Paloma أغنية مشهورة ألفها "Sebastián Iradier" بعد زيارته لكوبا في عام 1861.